ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Saja Mishaal Rashid Al-Taei

University of Al Mosul \ Faculty of Arts

Email:
Saja.m.r@uomosul.edu.iq

Keywords:

Ummah, Rabia, school, endowment, Musa

A r t i c l e i n f o

Article history:
Received 12.May.2022
Accepted 19.Aout.2022
Published 15.Nov.2022

Amat al-Latif and her role in the Ayyubid beriod 570 A.H/1175 A.P- 648 A.H/1251 A.P

A B S T R A C T

She is the Ummah of Al-Latif bint Nasih Al-Din Abdul Rahman bin Najm bin Abdul Wahhab Al-Sa`diya Al-Abadi Al-Khazrajiya Al-Ansariyah Hanbali, a scholar, sheikh, writer and jurist who agrees on the Hanbali school of thought. The second: addressing its role in scientific life through its construction of the Al-Alamah School and Dar Al-Hadith. The research also reached several results, the most important of which are:

1-Ummah Al-Hadith was a good supporter of Rabia Khatoon, as she indicated to her the construction of the Madrasa Al-Sahibiyya at the foot of Qasioun.

2-Ummat al-Latif obtained great money, which she subjected to imprisonment and confiscation for a period of three years. Then her release and her marriage to the honorable King Musa bin Ibrahim, the ruler of Homs, after her release.

3-The Al-Alama School for Hanbalis in Damascus was suspended.

4-Her biography begins by mentioning the service of Ummat al-Latif to Rabia Khatun bint Ayyub for a period of time.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss2.3311

العالمة أمة اللطيف ودورها في الحياة العلمية في بلاد الشام في العصر الأيوبي (570هـ/1175م – 648هـ/1251م)

م.د. سجى مشعل رشيد الطائي

جامعة الموصل / كلية الآداب

الملخص :

هي أمة اللطيف بنت ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب السعدية العبادية الخزرجية الأنصارية الحنبلية، عالمة وشيخة وكاتبة وفقيهة متفقهة على المذهب الحنبلي، وقد أرادت الباحثة من هذا البحث تناول أمرين، الأول: عرض سيرة حياتها ومكانتها الاجتماعية. والثاني: التطرق إلى دورها في الحياة العلمية من خلال بناءها لمدرسة العالمة ودار الحديث. كما توصل البحث إلى نتائج عدة أهمها:

1. قد كانت أمة الحديث بطانة خير لربيعة خاتون، إذ أشارت عليها ببناء المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون.

2. حصول أمة اللطيف على أموال عظيمة، عرضتها للحبس والمصادرة لمدة ثلاث سنوات. ثم إطلاق سراحها وزواجها من الملك الأشرف موسى بن ابراهيم حاكم حمص، بعد إطلاق سراحها.
3. أوقفت مدرسة العالمة للحنابلة في دمشق.
4. تبدأ سيرتها بذكر خدمة أمة اللطيف لربيعة خاتون بنت أيوب مدة من الزمن.

الكلمات المفتاحية: أمة ، ربيعة ، مدرسة ، وقف ، موسى

المقدمة:

شهدت الفترة الأيوبية تطوراً ملحوظاً وازدهاراً في حركة المجتمع الجهادي "العلمية والدينية"، وأصبحت دمشق قلب العالم الاسلامي، وتسابق القادة الأيوبيين ونساءهم ورجالاتهم في تشييد المؤسسات الثقافية والوقفية، لدرجة دفعت ابن جبير الذي زار دمشق وقتها للقول: "إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه".

شاركت سلطانات وأميرات الأسرة الأيوبية "الخاتونيات" في بناء المؤسسات التعليمية، وأوقفن عليهنّ أوقافاً لا حصر لها، وكُنَّ يُنشئن المدارس للصبيان لتعلم الحديث الشريف والمذاهب الفقهية، ومن أبرز النساء اللاتي شاركن بهذا العمل الشيخة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي، والتي هي محور هذه الدراسة، وقد سبقها عصمت الدين خاتون زوجة صلاح الدين الأيوبي فقد ذكرها ابن طولون بأنها كانت من أحسن النساء وهي واقفة مدرسة الخاتونية الجوانبة في دمشق، ثم الخاتون ست الشام بنت أيوب أخت الملوك، وعمة أولادهم وهي من أكثر النساء صدقة وإحساناً للمحتاجين، وأوقفت مدرسة الشامية البرانية على الشافعية، وقد أوقفت عليها أوقاف قدّرت بثلاثمائة فدان. وربيعة خاتون بنت أيوب اخت الملوك، وعمة أولادهم، أوقفت المدرسة الصاحبية للحنابلة، وذكر أن مِن أوقافها قرية جبة عسال، والبستان الذي تحت المدرسة، والطاحون، وجعلت للمدرسة في كل يوم درهمين، وللمعيد درهماً، وللطلبة كل واحد نصف درهم، ويكون طلبة العلم عشرين.

ولأهمية هذه الورقة البحثية فقد قسم البحث إلى قسمين، تناول المبحث الأول اسمها ونسبها، والدها، عائلتها، الكتابة والتصنيف والتأليف، الدخول في خدمة ربيعة خاتون، الحبس والمصادرة، إطلاق سراحها، زواجها، ووفاتها. أما المبحث الثاني كان عن دورها العلمي في بناء مدرسة العالمة ودار الحديث.

تميّز العصر الأيوبي بغنى في الانتاج التأليفي في المجالات المعروفة المتنوعة فكان لابد من الإشارة إلى أهم المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة. فكان كتاب الحنبلي (ت: 876هـ/1471م) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، متأخر زمنياً عن العصر الأيوبي، إلا انه استطاع ان يعطي تصور شامل عن الأسرة الأيوبية. وكذلك ابن الأثير الجزري (ت: 630هـ/1232م) فإنه أتحفنا بتفاصيل ثمينة عن الحكم الأيوبي. إلى المصدر المهم وهو كتاب النعيمي (الدارس في تاريخ المدارس).

وكذلك الكثير من المصادر والمراجع المهمة التي تخص هذه الفترة من تاريخ الدولة الأيوبية.

المبحث الأول

أولاً: اسمها ونسبها:

هي أمة اللطيف بنت ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم بن شرف الاسلام ابي البركات عبد الوهاب بن أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن احمد بن ابراهيم بن يعيش بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان السعدية العبادية الساعدية الخزرجية الأنصارية (الحنبلي، 1952، 154/1).

ثانياً: والدها

الناصح ابن الحنبلي، هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، ناصح الدين ابن الحنبلي (554–634هـ/1159–1236م)، (الذهبي، 2001، 54/19).

عالم بفقه الحنابلة، مؤرخ، أصله من شيراز، وولده ووفاته بدمشق، رحل إلى العراق ومصر والحجاز وفلسطين وكانت له حرمة عند ملوك الشام بني أيوب، وحضر فتح القدس مع الناصر صلاح الدين الأيوبي، ودرس الناصح بعدة مدارس وانتهت له كتب منها: (أسباب الحديث) عدة مجلدات، و(الاستشهاد بمن لقيت من صالحي العباد، في البلاد)، و(الانجاد في الجهاد)، و(تاريخ الوعاظ)، و(أقسية النبي المصطفى) في الأزهر، وله (خطب)، و(مقامات). (سبط ابن الجوزي، 700/8).

كان فقيهاً، فاضلاً، أديباً، حسن الأخلاق، واعظاً، متواضعاً، مفنناً، حلو الإيراد، صارماً، مهيباً، شهماً، كبير القدر، له أقارب وذرية علماء، وانتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين (الذهبي، 2001، 54/19، 7/6–23).

توفي يوم السبت ثالث محرم عام (634هـ/1236م) بدمشق (الذهبي، 2001، 45/19؛ تاريخ الاسلام، 1971، 142/14).

وله أقارب وذرية علماء (الذهبي، 2001، 45/9) ومنهم أعمامها عبد الكريم وأحمد ابناء نجم كانا عالمان وفقيهات ومحدثان ومفتيان ومناظران (المنذري، 1971، 175/18).

وكان أخيها سيف الدين يحيى بن عبد الرحمن مسنداً ومحدث، وكذلك أيضاً ابن أخيها شمس الدين يوسف بن يحيى كان محدث وعالم (الحنبلي، 1952، 117/4–118).

ورغم ان أباها قد عَلِم تاريخ ميلاده ووفاته، إلا أننا لم نقف على تاريخ ميلاد أمة اللطيف، ولا مشايخها الذين تلقت عليهم العلم، ولا حتى العلم الذي برزت فيه أهو الفقه أم الحديث أم الأصول أم التفسير أم القراءات...الخ، لكن جلّ من أرّخ لها ووصفها بأنها: عالمة. (سبط ابن الجوزي، 1952، 391/22؛ الذهبي، 1971، 441/14).

ثالثاً: عائلتها

عبد الواحد الشيرازي شيخ الشام. هو عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازيُّ، ثم المقدسيُّ ثم الدمشقيُّ، أبو الفرج الأنصاريُّ، شيخ الشام. ولد في شيراز، وتفقّه ببغداد على القاضي أبي يعلى مدةً وقدم الشام فسكن بيت المقدس، فنشر مذهب الإمام أحمد فيما حوله، ثم أقام بدمشق فنشر المذهب الحنبلي، وعبد الواحد هو أمن أسس هذه العائلة التي لُقبت بـ (بيت ابن الحنبلي) وخرج من نسله الكثير من العلماء. (الحنبلي، 1952، 153/1–157، 158، 159، 160، 161).

قال ابن رجب الحنبلي: "وكان إماماً عارفاً بالفقه والأصول، شديداً في السنة، زاهداً عارفاً، عابداً، متألهاً، ذا أحوال وكرامات، وكان "تُتش" صاحب دمشق يعظمه". (الحنبلي، 1952، 157/1).

وقال الذهبي الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الأنصاري الشيرازي الأصل ، الحراني المولد، الدمشقي المقر، الفقيه الحنبلي الواعظ، وكان يعرف في العراق بالمقدسي، من كبار أئمة الاسلام. (الذهبي، 2001، 52/19).

ومن تصانيفه التي ينظر فيها مذهب اهل السنة (الإيضاح) و(التبصرة في أصول الدين على مذهب الإمام أحمد بن حنبل) و(مختصر في الحدود) و(في أصول الفقه) و(جزء فيه امتحان السني من البدعي) و(المبهج في الفقه الحنبلي)، ويقال: إن له كتاب (الجواهر) في التفسير في ثلاثين مجلداً.

توفي عام (486هـ/1093)، وخلف ذرية مباركة من العلماء تعرف ببيت ابن الحنبلي ومن أبرزهم:

- أبو القاسم شرف الاسلام بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي:

الشهير بابن الحنبلي. نشأ بدمشق، وتفقه على أبيه، وذهب إلى بغداد وناظر فقهاءها في المسائل الخلافية.

وصار له القبول الزائد في الوعظ، وفي رئاسة مشيخة الحنابلة بدمشق بعد أبيه، وعظُمت مكانته، حتى إنه قد أرسله الملك بوري بن صغتكين رسولاً إلى المسترشد بالله، يستصرخ به على غزو الصليبيين، وأنهم أخذوا كثيراً من الشام.

قال الذهبي في صفته: "كان ذا لسن وفصاحة وصورة كبيرة...وكان على الطريقة المرضية، والخلال الرضية، ووفور العلم، وحسن الوعظ، وقوة الدين". (الذهبي، 2001، 104/20).

وابتنى المدرسة الحنبلية الأولى في دمشق التي أخرجت أجيالاً من العلماء، ومن أبرزهم أولاده وأحفاده.

ومن أبرز مصنفاته كتاب (الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة)، تلك الرسالة التي تعد من عيون ردود قدامى الحنابلة على الأشعرية.

توفي عام (536هـ/1141م).

- عبد الملك بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي:

القاضي بهاء الدين بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي، ولد بدمشق، وأخذ العلم عن أبيه، وتفقه مدة بخراسان، ورأس مشيخة الحنابلة بالشام بعد والده، وتولى القضاء.

قال ابن القلانسي في (تاريخ دمشق): "كان إماماً، فاضلاً مستقلاً، مفتياً على مذهب الإمامين أحمد وأبي حنيفة رحمهما، الله، بحكم ما كان يجري عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم، وكان فصيح اللسان بالعربية والفارسية، حَسَن الحديث في الجد والهزل".

وتوفي عام (545هـ/1150م) (ذيل تاريخ دمشق، 1980، 202).

- عبد الكافي وعبد الحق ومحمد عبد الهادي أبناء عبد الوهاب:

كانوا جميعاً فقهاء على المذهب الحنبلي ومحدثين ووعاظ ومفتون ومفسرون وأصحاب لملوك الشام من الزنكيون والأيوبيون (الحنبلي، 1952، 373/2-379).

لقد كان السبب في قلة الحنابلة الوافدين إلى بلاد الشام، هو انتشار المذهب الشافعي والحنفي المدعوم من قبل السلطة السياسية المتمثلة بالزنكيين والأيوبيين، فضلاً عن قلة تواجد الفقهاء الحنابلة إلى بلاد الشام وذلك لعدم وجود شيوخ كبار للحنابلة أو تلاميذ فيها إلا في حالة زيارتهم بلاد الشام لأغراض أخرى، لكن رغم ذلك فقد وفد بعض الحنابلة إلى بلاد الشام، ومنهم محمد بن عبد الباقي بن محمد أبو بكر البغدادي القاضي المتوفى (535هـ/1140م) وقد دخل دمشق عن ذهابه إلى مصر وكان الفقيه على مذهب أحمد بن حنبل (الذهبي، 2001، 606/11) وكذلك الفقه عبد المغيث بن زهير البغدادي الحربي الحنبلي المتوفى (583هـ/1187م) (المنذري، 1968، مج 83/3).

رابعاً: الكتابة والتصنيف والتأليف

أجمع المؤرخون على ان لها تصانيف ومجاميع وتأليف، ولكن أحداً منهم لم يذكر اسماً واحداً من تلك المصنفات، أو في أي فرع من فروع العلم، رغم أن بعض المؤرخين عاصروها مثل سبط ابن الجوزي.(سبط ابن الجوزي،22،1952/ 392).

خامساً: الدخول في خدمة ربيعة خاتون:

هي الأبنة الثانية لأيوب، ويبدو أنها أصغر سناً من أختها ست الشام، إذ تذكر المصادر أنها توفيت عام (643هـ/ 1168م) عن عمر يناهز الثمانين عاماً (سبط ابن الجوزي، 1952، 756/8؛ أبو شامة، 2002، 158/3–159). أي انها ولدت في حدود عام (564هـ/1168م) وهذا يجعلها أصغر أولاد أيوب الذي توفي عام (568هـ/1172م)، ودفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه في بيته بالدار السلطانية ثم نقلا إلى مدينة النبي محمد (ﷺ). (سبط ابن الجوزي، 1952، 295/8؛ ابن شداد، 1956، 46).

تزوجت بالمرة الأولى من سعد الدين مسعود ابن معين الدين انر (سبط ابن الجوزي، 1952، 385/1؛ 1967، 115/4) الذي تولى ادارة الحكم في أواخر عهد اتابكية ال بوري (الذهبي، 2001، 229–230؛ سلطان، 1992، 40). ولم يعمّر هذا الزواج طويلاً إذ توفي سعد الدين في عام (581هـ/1185م). (سبط ابن الجوزي، 1952، 385/8؛ أبو شامة، 2002، 158/3؛ ابن تغري بردي، 1979، 99/6).

ثم تزوجت بعد ذلك بمظفر الدين كوكبري وهو أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني، صاحب أربل، وابن صاحبها الملك زين الدين علي كوجك، ولد في عام (549هـ/1154م) وتوفي في عام (633هـ/1233م). (سبط ابن الجوزي، 1952، 680/2؛ ابو شامة، 2002، 58/3؛ الذهبي، 1952، جب، 1964، 106).

وقد حظي كوكبري بعناية صلاح الدين الأيوبي منذ أن اتصل بخدمته عام (578هـ/1182م)، وبرز دور كوكبري في تحقيق النصر في معركة حطين عام (583هـ/1187م) عندما سيطرت الجيوش الاسلامية على الماء، فقام مظفر الدين كوكبري بإشعال النيران في الزروع المحيطة بالفرنجة مما زاد من قسوة ما لاقوه من العطش ولهيب النار المشتعلة والحرارة العالمية للجو حيث دارت المعركة في شهر تموز. (ابن شداد، 1956، 75–79؛ ابن الأثير، 177/9–179؛ ابن العديم، د.ت، 92/3–96؛ ابن واصل، 1953، 188/2).

أما بالنسبة لعلاقة ربيعة خاتون مع زوجها كوكبري، فيبدو أنها كانت محبة لزوجها عطوفة عليه، حيث أشفقت عليه من لبس الملابس الخشنة نتيجة ميله إلى الصوفية وتقشفه وزهده، فكان جوابه أيهما أصلح وأكثر أجراً، أن ألبس ثوباً بعشرة دراهم أو ألبس ثوباً بخمسة دراهم وأتصدق على فقير أو مسكين. (سبط ابن الجوزي، 1952، 682/8–683؛ ابن خلكان، 1968، 277/3).

ولعل علاقتها قد عمقت لدى ربيعة خاتون اتجاهها نحو الدين مما انعكس على الأوقاف الكبيرة التي أوقفتها في بلاد الشام.

وقد ذكرها الامام ابن كثير في ترجمته لربيعة خاتون بنت ايوب، وهي "وربيعة خاتون، بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين زوجها أخوها أولاً بالأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين وتزوج هو بأخته عصمة الدين خاتون التي كانت زوجة الملك نور الدين واقفة الخاتونية الجوانية والخانقاه البرانية ثم مات الأمير سعد الدين زوّجها أخوها من الملك مظفر الدين صاحب اربل فأقامت عنده بأربل أزيد من أربعين سنة حتى مات، ثم قدمت دمشق فسكنت بدار الحقيقي حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد جاوزت الثمانين ودفنت بقاسيون وكانت في خدمتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي وكانت فاضلة ولها تصانيف وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة ووقفت أمة اللطيف على الحنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرقي الرباط الناصري ثم لما ماتت الخاتون وقعت العالمة بالمصادرات

وحبست مدة ثم أفرج عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص وسافرت معه إلى الرحبة وتل راشد ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسين ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة تقارب ستمائة ألف درهم غير الأملاك والأوقاف رحمها تعالى". (ابن كثير، 2003، 143/13).

ما نجده في هذا النص ان ربيعة خاتون دائماً ما تبدأ سيرتها بذكر خدمة أمة اللطيف بطانة خير لربيعة خاتون، إذ أشارت عليها ببناء المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون بدمشق، فبنتها ووقفتها على الشيخ الناصح أبي أمة اللطيف (ابن كثير، 2003، 46/13؛ الطائي، 2010، 72-73).

فلم تمنع شافعية ربيعة خاتون من بناء مدرسة للحنابلة ووقف عليها الأوقاف، أما أمة اللطيف فإنه نتيجة لعظم ثروتها فقد أوقفت مدرسة العالمة للحنابلة بدمشق. (سبط ابن الجوزي، 1952، 391/22).

سادساً: الحبس والمصادرة

بعد موت ربيعة خاتون عام (643هـ/1245م) لاقت أمة اللطيف الشّدائد والأهوال والمصائب، إذ تم حسبها ومصادرة أموالها، والمدارس العلمية التي أوقفتها، وظلت محبوسة ثلاثة سنين بقلعة دمشق. (سبط ابن الجوزي، 1952، 391/22؛ ابن كثير، 2003، 199/13).

سابعاً: إطلاق سراحها وزواجها

حاول كثيرون التوسط، لدى حكّام دمشق من أجل الافراج عن أمة اللطيف، قال سبط ابن الجوزي: "ودخلتُ مع نواب الصّالح في قضيتها، وبالغتُ في أمرها، فأطلقت من الحبس، وتزوّجت بالأشرف ابن صاحب حمص". (1952، 392/22).

وقد أخرجها الله عزيزة من محنتها تلك، إذ تزوجها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن ابراهيم بن شيركوه ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن شاذي. (الحنبلي، 1978، 394).

ولد عام (627هـ/1230م) في القاهرة وملك حمص بعد وفاة والده عام (644هـ/1246م)، ووَزَر له الصدر مخلص الدين ابراهيم بن اسماعيل بن قرناط، واعتضد بالملك الصالح صاحب مصر، وسمع من عبد اللطيف بن اسماعيل الصوفي، وكان مولده يوم موت الشيخ رُزبهان.

توفي الملك الأشرف مظفر الدين موسى عام (662هـ/1264م) بحمص وهو آخر من ملَكَ حمص من الأسرة الأيوبية وصارت مملكة حمص بعده إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس.

- صفاته:

ذكره قطب الدين، فقال: "كان ملكاً حازماً، كبير القدر، يقظاً، خبيراً، شجاعاً، كبير النفس، له غَور ودهاء، وكان وافر العقل، قليل البسط والحديث، يقيد ألفاظه، يلازم الناموس في خلوته، ويحذو حُذو الصالح نجم الدين أيوب، وخلف أموالاً عظيمة من الجواهر والذهب والذخائر، وتسلم الملك الظاهر بلاده وحواصله، توفي في صفر بحمص وله خمس وثلاثون سنة، ودفن بتربة جده الملك مجاهد".

وقال أبو شامة: "كان شاب عفيفاً، له صلات إلى من يقصد، وكسر التتار بحمص". (2003، 65/3).

وقال ابن شداد: "ملك الرحبة، وحمص، وتدمر، وزلوبية، بعد ابيه، وخرج من دمشق مع الناصر في نصف صفر، ففارقه مع الصّفّين، وسار إلى تدمُر وسار إلى هولاكو، وهو على قلعة حلب، فتوسط بينه وبين أهلها حتى سلموها في ربيع الأول، وبقي عنده يسفر بينه وبين مَن في القلاع، فلمّا ردَّ هولاكو ولّاه على الشام بأسره نيابةً عنه، وردّ إليه بلاده". (1964، 227/2).

لم تشير المصادر من الذي اعتقلها؟ وما هو سبب الاعتقال؟ فربما يكون السبب وراء ذلك، الحسد جراء الأموال الطائلة التي حصلت عليها من مرافقة السيدة ربيعة خاتون اثناء حياتها، ومكوثها في بيتها بعد وفاتها. (الطائي، 2010، 61).
أما زواج أمة اللطيف بالملك الأشرف، لعل هذا كان رداً للاعتبار لهذه العالمة الفاضلة التي اسهمت هي الأخرى بدور كبير بعلمها وأوقافها، في اثراء الحركة العلمية خلال العصر الأيوبي. (الحايك، 2002، 256؛ الطائي، 2010، 61).

ثامناً: وفاتها

عاشت أمة اللطيف سنوات معدودة في ظل زوجها بالرحبة، ووافتها المنية في عام (653هـ/1253م) غريبة عن الأهل والعشائر.
ويبدو أنها بعد زواجها زادت ثروتها من جديد، إذ بعد وفاتها ظهر لها بدمشق من المال والذخائر والجواهر ما يساوي ستمائة ألف درهم – على ما قيل – غير الأوقاف والأملاك.
كانت فاضلة، صالحة، دينية، عفيفة. (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 392/22؛ الحنبلي، 1978، 230).
أما عمرها فلم نستطع تحديده تماماً، لعدم معرفة تاريخ ولادتها.

المبحث الثاني

الدور العلمي للشيخة العالمة أمة اللطيف

ساهمت نساء الأسرة الأيوبية في بناء المؤسسات التعليمية وأوقفن عليها الأوقاف، وكانت مساهمتهن واضحة في هذا المجال، وشاركن في تشجيع الحركة الفكرية في العصر الأيوبي (الكيلاني، 2002، 319؛ احمد، 4،1958). وقد أشار ابن جبير عند زيارته لدمشق إلى هذه المشاركة النسائية في العصر الأيوبي والدور الراقي لأميرات البيت الأيوبي واسهامهن في المجال الثقافي والعمراني حيث قال: "ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف (ابن جبير، د.ت، 1993). وهذا يدل على مشاركة المرأة إلى جانب الرجل في العمل على تطوير التعليم ومؤسساته في البلاد الاسلامية في العصر الايوبي في بلام الشام.
كانت بلاد الشام مركزاً للنشاط التعليمي للمرأة، حيث كانت منهن اللواتي اشتغلن في مجال التعلم والتعليم على الرغم من عدم ظهورهن بشكل مباشر في المدارس بوصفهن معلمات أو طالبات، إلا أن كثيرات منهن عملن في هذا الجانب بصورة غير مباشرة، وكانت منهن شيخات أو سامعات أو راويات للحديث، وكن ينشئن المدارس الخاصة للصبيان ولدراسة الحديث والمذاهب الفقهية المختلفة، واشتهر بعضهن بالتفوق في فن معين من فنون المعرفة ومنهن ذي شهرة الكاتبة التي كانت متخصصة في دراسة الحديث وعلومه، حتى عدت من كبار رواية وحفظة، وست الكتبة نعمة بنت علي التي اهتمت بدراسة الحديث وتخصصت في كتاب الشمائل للترمذي (حلمي، 1958، 3–4، 18–19؛ الطائي، 2010، 63–64).
وقد ركزنا حديثنا في هذا المبحث عن الدور العلمي للشيخة العالمة أمة اللطيف من خلال بناءها للمدرسة ودار الحديث.

أولاً: مدرسة الشيخة العالمة أمة اللطيف

تقع مدرسة أمة اللطيف العالمة وتربتها خارج أسوار مدينة دمشق القديمة في حي الصالحية مقابل جامع العفيفي، في الطريق المؤدي إلى حي المهاجرين، في زقاق الزيتون المعروف حالياً باسم جادة عمر صفر، قبالة تربة ريحان، وهي من مشيدات العهد الأيوبي، وتعرف أيضاً بدار الحديث العالمة نسبة إلى العالمة أمة اللطيف (النعيمي، 87). أنشأتها عام (640هـ/1242م)، ودفنت فيها عند وفاتها عام (653هـ/1255م). (النعيمي، 1948، 88). وقد زالت المدرسة، وبقيت

التربة، وقد ذكر ابن عبد الهادي انها صارت في عهده حاكورة ولم يبق منها سوى حجر غير ظاهر عليه اسم الواقفة "هذه مدرسة دار الحديث لابنة الناصح الحنبلي"، وفي القرن العاشر صارت تربة لبني الناصح (العلبي، 1989، 236).

وتعد مدرسة امة اللطيف من أضخم الأبنية في العهد الأيوبي، حيث يحتل الضريح القسم الشمالي، ويبلغ عرض واجهتها نحو خمسة عشر متر، وارتفاعها عشرة متر، وهي مبنية من الحجارة الضخمة ويتوسطها باب صغير ونافذة من كل جهة.

وهي مبنية بالمداميك الحجرية ذات اللونين المتناوبين، وواجهتها خالية من العناصر الزخرفية إلا من ساكف حجري املس فوق بابها يعتقد أنه كان مشغولاً بالكتابات سابقاً، لأن شكله العام يشبه تماماً شكل ساكف مدرسة الفروفشاهية المنقوش بالكتابات. ويعلو البنا قبة محززة تستند إلى رقبة مضلعة بطبعتين، الطبقة السفلية ذات اثنتي عشرة ضلعاً تفتح فيها اثنتا عشرة نافذة معقودة ضمن قوس ومشغولة بالشبابيك الخشبية المعشقة بالزجاج الملون كانت تسمح بإدخال الضوء لإنارة الضريح. أما الطبقة العلوية فذات أربع وعشرين ضلعاً ملساً. وتجدر الاشارة هنا إلى أن عدد الأضلاع في هذه الرقبة غريب على ترب دمشق، ولا مثيل لها في اي رقبة اخرى. (العلبي، 1989، 241).

وقد كشف عن الحجر المنقوش المؤرخ لهذه التربة على علو ستة أمتار فوق شباكها الجنوبي ونصه:

1. "البسملة، أنشأت هذه التربة المباركة التي في لحف جبل قاسيون جوار دار الحديث المعروفة قديماً بزاوية الشيخ عبد الله اليوني بانيها، يومئذ بدار.
2. الحديث النبوي الفقيرة إلى رحمة ربها عز وجل أمة اللطيف بنت الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحد ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب. (النعيمي، 1948، 82/2).
3. الحنبلي الأنصاري قدس الله روحه ونور ضريحه. آنسها الله عز وجل في قبرها عند وحشتها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه.
4. انها صنفت كتباً منها التسديد في شهادة التوحيد في قول لا إله إلا الله. وكتاب بر الوالدين. وكتاب المحبة. (النعيمي، 1948، 82/2).
5. الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ترجو بهما النجاة والرحمة يوم القيامة إن شاء الله. وقد أوقفت على التربة القرّا على ضريحها وخادم يتولى خدمة القبر وقاعة بدمشق بما نص عليه كتاب الوقف وذلك في شهر رجب أربعين وستمائة.

قامت المديرية العامة للآثار بترميم التربة وتجديدها وطلا قبتها باللون القرميدي وذلك في النصف الثاني من عام 1945م وتم ارتكاب خطأ بوضع لوحة رخامية على جدار واجهة التربة، نصها: "المدرسة اليغمودية أنشأها الأمير جمال الدين بن يغمور عام (663هـ/1264م)"، وشغلت المبنى رابطة الدفاع عن حقوق الانسان بدمشق، وهي مغلقة حالياً، ولا يمكن الدخول إليها. (الشهابي، 1995، 39).

دار الحديث:

شيدت الشيخة العالمة أمة اللطيف دار للحديث، دعيت بدار حديث العالمة وهي تقع شرق الرباط الناصري غربي سفح جبل قاسيون تحت جامع الأفرام. (ابن طولون، 140). وكان الوقف عليها بستاناً، وأنها كانت مخصصة لعشرين من أعيان الطلبة، وممن تولى مشيخة دار الحديث هذه المحدث شمس الدين عبد المنعم هامل الحرائي (ت: 671هـ/1272م). (الأربلي، 1947، 15؛ ابن كثير، 2003، 170/3؛ علي، 1972، 100/6؛ خلف، 1995، 153). ثم تولاها آخرون في فترات لاحقة قبل أن تندثر. (الطائي، 2010، 98).

الخاتمة

إن أمة اللطيف قد غلبت شهرتها بارتباطها بربيعة خاتون الأيوبية، ودخولها في خدمتها، وزواجها من الملك الأشرف ابن منصور صاحب حمص، فكانت بطانة خير للسيدة ربيعة خاتون.

حيث أمرت السيدة ربيعة خاتون بإنشاء المدرسة الصاحبية في عام (628هـ/1230م) وقد دفنت فيها عندما توفيت عام (643هـ/1245م) والمدرسة وقف على الحنابلة، وبناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلالة، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن المعماري في ذلك الزمن، ويرجع الفضل في انشائها إلى الشيخة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي وهذا يدل على التأثير الشخصي لأمة اللطيف وفي المعنى قد تكون أمة اللطيف من الواعظات فيها.

لاقت الشيخة العالمة أمة اللطيف بعد وفاة السيدة ربيعة خاتون، فقد حبست ثلاث سنوات وبعد خروجها تزوجها الملك الأشرف صاحب حمص، وعاشت في الرحبة إلى أن توفت عام (653هـ/1253م).

أسهمت هذه العالمة الفاضلة بدور كبير بمصنفاتها وعلمها في اثراء الحركة العلمية خلال العصر الأيوبي.

قائمة المصادر والمراجع

- **الإربلي، الحسن بن احمد (ت 726هـ/1328م).**

1. مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها، تحقيق: محمد احمد دهمان، ط1، مطبعة الترقي، (دمشق، 1947).

- **ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت: 874هـ/1469م).**

2. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة، 1935).

- **ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد (ت: 614هـ/1217م).**

3. رحلة ابن جبير، د.ط، منشورات دار ومكتبة الهلال، (بيروت، 1981).

- **الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت: 876هـ/1605م).**

4. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، د.ط، مطبعة دار الحرية، (بغداد، 1978).

- **ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد (ت: 681هـ/1282م).**

5. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، مطبعة السعادة، (القاهرة، لا.ت)، (1، 4، 5، 6)، مطبعة السعادة، (مصر، 1984).

- **الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: 748هـ/1347م).**

6. سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 2001).
7. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، مج 10، 11، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971).

- **ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب احمد البغدادي الحنبلي (ت: 795هـ/1392م).**

8. الذيل على طبقات الحنابلة، الجزء الأول، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، (لا.م، 1952).

- **سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت: 654هـ/1256م).**

9. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق1، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، (الهند، 1952).

- **أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن اسماعيل المقدسي (665هـ/1266م).**

10. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مطبعة دار الجيل، د.ط، (بيروت، لا.ت).

- **ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم، (ت: 684هـ/1285م).**

11. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم دمشق، تحقيق: سامي الدهان، د.ط، (دمشق، 1956).

- **ابن طولون، شمس الدين (ت: 953هـ/1546م).**

12. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد احمد دهان، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (دمشق، 1980).

- **ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر (ت: 660هـ/1261م).**

13. زبدة الحلب من تاريخ حلب، عني بنشره ووضع فهارسه سامي الدهان، د.ط، د.مط، (بيروت، لا.ت).
- **ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت: 555 هـ/ 1160م).**
14. ذيل تاريخ دمشق، د.ط، مطبعة اليسوعيين، (بيروت، 1980م)
- **ابن كثير، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ/1372م).**
15. البداية والنهاية، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط1، دار الفجر للتراث، (القاهرة، 2003).
- **النعيمي، عبد القادر محمد (ت: 927هـ/1520م).**
16. الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، د.ط، مطبعة الترقي، (دمشق، 1948).
- **ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن محمد (ت: 630هـ/1232م).**
17. الكامل في التاريخ، دار الفكر، (بيروت، 1978).
- **المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت: 656هـ/1258م).**
18. التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (بغداد، 1971).
- **ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: 697هـ/1297م).**
19. مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، الجزء الثالث، تحقيق: جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية، (القاهرة، 1957).
- **احمد، محمد حلمي**
20. الحياة العلمية في مصر والشام، المجلة المصرية، مج7، القاهرة، 1958.
- **الحايك، منذر**
21. مملكة حمص في العهد الأيوبي، دار طلاس، (دمشق، 2002).
- **الزركلي، خير الدين**
22. الأعلام، دار العلم للملايين، (بيروت، 1979).
- **الكيلاني، ماجد عرسان**
23. هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، (دبي، 2002).
- **العلبي، اكرم حسن**
24. خطط دمشق، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام، ط1، دار الطباع، (دمشق، 1989).
- **الشهابي، قتيبة**
25. مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، وزارة الثقافة، (دمشق، 1995).
- **خلف، غانم عبدالله**
26. الحياة العلمية في بلاد الشام على عهد الأيوبيين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995.
- **الطائي، سجى مشعل رشيد**
27. النساء الأيوبيات ودورهن الحضاري في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2010.